بان يقال لا يصح القول بما لا دليل عليه فات ببرهان يدل على صحة مذهبك والا فلا تحم حول ذلك قوله وسط
التاكيد يعني قوله هو الحق جملة معترضة وسطت بين السبب الذي هو الجهل والمسبب الذي هو الاعراض تاكيدا
لسببية الاول للثاني والحكم بالسببية مستفاد من الفاء في قوله فهم معرضون كانه حكم اولا بان اعراضهم بسبب
الجهل هو الحق لا الباطل والعامة على نصب الحق على انه مفعول به للفعل الذي قبله ويجوز ان يكون انتصابه
على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله كما تقول هذا عبد الله الحق وعلى قراءة الرفع يكون قوله لا يعلمون
مطلقا غير مقيد بالمتعلق على طريق قولك فلان يعطي ويمنع فاذا وقف على قوله لا يعلمون جاز من
حيث اللفظ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث المعنى لان السبب والمسبب كالشيء الواحد
وقرا حمزة والكسائي وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله ارسلنا وقرا الاخرون بالياء
وفتح الحاء على البناء للمفعول وهذه الاية مقررة لما سبقها من ايات التوحيد لكونها من قبيل التعميم بعد
التخصيص قوله الملائكة بنات الله واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة قوله
على معرضين اي على موضع ذلة من زعم انها بنات الله فانهم لما راوهم مكرمين مقربين لهم صفات فاضلة
منزهة عن ان يكون له شريك في ملكه والوهية قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين
وجه التعريض انه تعالى لما قال لا يسبقونه بالقول فهم منه بقرينة السياق والمقام ان هناك من يصدر عنه السبق
بالقول وهم الذين قالوا على الله ما لم يقله من ان له شريكا وولدا ونحو ذلك ونسب السبق المنفي اليه تعالى
واليهم تنبيها على ان السبق المثبت المعرض به وان كان سبق قولهم قولا الا انه بمنزلة انفسهم عليه تعالى في الجرأة
والقباحة والذي يدل على هذا الاخير ان يقال لا يسبقونه بقولهم الا انه انيب اللام عن الاضافة اختصارا
في المعنى بترك التعرض للمضاف اليه ولا يسبقونه بضم الباء على انه مضارع سبقه اي غلبه في السبق ومضارع
فعل المغالبة مضموم العين مطلقا يقال سابقه فسبقه يسبقه فالسبق المنفي على هذه القراءة نهي
السبق على طريق المغالبة على معنى انهم تكلفوا بان يغلبوا في السبق بالقول لا يساعدهم فيه نفوسهم وتاباه
عنه عقولهم لما ركز في قلوبهم من خشية مسببة من معرفة جلال الله وعظمته ثم انه تعالى بعد ما بين
ان قولهم تابع لقوله وانه لا يسبق قولهم بين ان عملهم ايضا تابع لامره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا
به ومن كان في نهاية الخضوع وكمال العبودية بهذا الحد كيف يكون الهة واولادا وكذا الخشية و
الاشفاق المذكورين يعدان من صفات العبودية فلا يكون الموصوف الها ولا ولدا قوله وهو كالتعليل
لما قبله استيناف لبيان ما دعاهم الى ما ذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعا لقوله وعملهم
تابعا لامره والمعنى انهم لما علموا كونه تعالى عالما بجميع المعلومات يجازي كل نفس حسب عمله عملوا
كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى ما ذكر من كمال الخضوع ومراقبة
الاقوال والافعال وهو ايضا تمهيد لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى لانه علمهم بذلك يقتضي
كمال التادب قوله يعلم ما بين ايديهم اي ما قدموا من اعمالهم وما خلفهم اي وما هم عاملون اياه
وقيل على العكس قوله وهم من خشيته مشفقون اي من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون

مشفقون وجلون خائفون لعلمهم بتقصيرهم في عبادة الله والمؤمنون يخافون الله من كثرة ذنوبهم روي
عنه عليه السلام انه راى جبرائيل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله والخشية والاشفاق متقاربان
في المعنى والفرق بينهما ان المنظور في الخشية جانب المخشي منه وهو عظمته ومهابته وفي الاشفاق جانب
الخائف وهو الاعتناء بشانه وعدم الامن ان يصيبه مكروه ثم ان الاشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتي
من وعلى يقال اشفق عليه فهو مشفق واشفق منه اي حذر فان عدي بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر من معنى
الاعتناء وان عدي بعلى يكون معنى الاعتناء اظهر من معنى الخوف قوله اولم يعلموا يعني ان الرؤية قلبية
وان مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين وليست بصرية لانهم ما راوها كذلك البتة قال تعالى ما
اشهدتهم خلق السموات والارض او هذه الاية تتمة انواع من الدلايل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته
تاكيد الدليل واحدانيته وتقرير البرهان تنزيهه عن الشركاء والانداد فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب
العجيب في هذا العالم كيف يصلح ان يكون له شريك في الالوهية وملكه والرتق مصدر بمعنى الضم و
الالتحام فقوله السموات والارض رتق من قبيل رجل عدل ولذلك قال ذات رتق او مرتوقتين
لم يقل كانتا رتقين لان المصدر لا يثنى ولا يجمع كقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام واختلف
المفسرون في وجه فتقهما بعد الالتحام روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المعنى كانتا شيئا واحدا
ملتزقا احديهما بالاخرى ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق
السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقهما بها وقيل المعنى كانت السموات مرتقة طبقة واحدة
ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك الارض مرتقة طبقة واحدة ففتقها باختلاف
كيفياتها واحوالها فجعلها سبع ارضين وقيل كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقها بالتنويع
والتمييز كما جاء في الحديث المشهور اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بنظر الهيبة فذابت من خوف
ربها فصارت ماء ثم نظر اليها نظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعدت العرش فكتب لا اله
الا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء يرتعد على حالة الى يوم القيمة وذلك قوله تعالى وكان
عرشه على الماء ثم حصل من تلاطم الماء ادخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منها السموات والارض
طباقا وكانتا رتقا فخلق الريح ففتق بين اطباق السموات واطباق الارض ثم بعد ذلك مد
الزبد على وجه الماء ودحاه فصار ارضا بقدرته وقيل المعنى ان السموات كانتا رتقا مستوية لا تمطر و
كذا الارض كانت رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ففتق السماء وهي اشد
الاشياء واصلها بالين الاشياء وكذلك فتق الارض بالين الاشياء مع شدتها وصلابتها فالاية
على هذا القول نظير قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجح هذا القول بقوله تعالى
بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي وذلك لا يليق الا اذا كان للماء تعلق بما تقدم ولا يكون كذلك
الا اذا كان المراد بالرتق والفتق ما ذكرنا فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لا ينزل من السموات بل من سماء
واحدة وهي سماء الدنيا اجيب بانه اطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1